# الوضع والنحل

**مدخل :**

إن الوضع والنحل ظواهر أدبية عامة لا تقتصر على أمة دون أخرى ولا يختص بها جيل دون غيره ، فقد عرفها العرب كما عرفتها الأمم الأخرى التى كان لها نتاج أدبى ، وعرفها العصر الجاهلى كما عرفها العصر الأموى والعباسى بل ويعرفها العصر الحاضر الذى نعيش فيه ، على الرغم من وسائل الحضارة الحديثة التى كانت قمينة أن تبرئ نتاجنا من هذه الظواهر لو كان ثمة سبيل إلى الخلاص منها .

فإن شيوع الكتابة وانتشار الطباعة بصورها المتعددة وصنوفها المتباينة لم يحولا دون نسبة شعر إلى شاعر لم يقله ولم يدر عنه شيئًا . لم يكن الوضع والنحل مقصوراً على الشعر وحده بل لقد انتظم كل ما يمت إلى الأدب العام بسبب كالنسب والأحبار منذ الجاهلية نفسها ، ولقد بدأ الكذب والوضع فى الحديث النبوى فى حياة رسول الله ﷺ ، ولعل ذلك هو الدافع لقول رسول الله ﷺ : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وحسبنا من كل ذلك إلماحة عابرة ننتقل بعدها إلى الحديث عن الوضع والنحل فى الشعر الجاهلى بوجه خاص والدليل على أن الوضع والكذب فى النسب قديم منذ الجاهلية وعصر الرسول عليه السلام أن النبى ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز فى نسبه (معد ابن عدنان بن أدد) ثم يمسك ويقول : ( كذب النسابون )[1] ، وكذلك ما ذكره ( الهيثم ابن عدى ) فى كتابه (المثالب) من أن (دغفلا) النسابة دخل على معاوية فقال له معاوية : من رأيت من علية قريش ؟ فقال : ( رأيت عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن شمس ) فقال : صفهما لى فلما وصف له ( عبد المطلب ) قال : فصف ( أمية ) قال : رأيته شيخًا

(١) طبقات ابن سعد ١/ ٢٨ .

قصيراً نحيف الجسم ضريراً يقوده عبده ( ذكوان ) فقال : مه ، ذاك ابنه ( أبو عمرو ) فقال : هذا شيء قلتموه بعد وأحدثتموه ، وأما الذى عرفت فهو الذى أخبرتك به[1] .

وأما الوضع والكذب فى الحديث النبوى منذ عهد الرسول نفسه فأمر بين واضح ، والدليل على ذلك قول النبى ﷺ : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[2] ، وقد جاءه ذات يوم المنقع بن الحصين فقال : يا رسول الله إن الناس خاضوا فى كذا وكذا، فرفع النبى ﷺ يديه وقال : اللهم لا أحل لهم أن يكذبوا على قال المنقع : فلم أحدث بحديث عن النبى ﷺ إلا حديثًا نطق به كتاب ، أو جرت به سنة ، يكذب عليه فى حياته فكيف بعد موته[3] .

وقد تنبه الصحابة فى الصدر الأول إلى شيوع الكذب والوضع فى الحديث حتى إن أبى وقاص حينما سئل عن شيء فى الحديث استعجم وقال : ( إنى أخاف أن أحدثكم واحداً فتزيدوا عليه بمائة )[4] وقد أمر رسول الله ﷺ ( زيد بن ثابت ) أن يتعلم كتاب اليهود ، وقال : « لا آمن أن يبدلوا كتابى »[5] .

## قضية النحل والوضع :

مما تقدم استبان لنا بوضوح وجلاء تأمين أن الشعر الجاهلى دخله وضع ونحل كثير ، حيث كان هناك رواة وضاعون حرفوا فى الشعر الجاهلى وأضافوا إليه ، من أمثال : خلف الأحمر ، وحماد عجرد ، وقد أومأ إلى ذلك القدماء وحاولوا جاهدين نفى الزيف عنه وما وضعه الوضاعون ، وقد بلغ من عنايتهم بهذا الأمر وحرصهم أن أهمل ثقاتهم كل ما روى عن المتهمين من أمثال ( خلف ، وحماد ) ووقفوا لهم بالمرصاد يكشفون زيفهم ، ويصوبون أخطاءهم حتى خلصوا لنا قدراً كبيراً من الشعر الجاهلى

---

(١) الأغانى ١/ ١٢ .
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٧ .
(٣) ذاته ٧/ ٤٣ وما بعدها .
(٤) ذاته ٣/ ١٠٢ .
(٥) إمتاع الأسماع للمقريزى ، ص١٨٧ .

الصحيح الذى يمكن أن نثق به ، ونطمئن إلى صحته ، ومن هؤلاء ( أبو عمرو بن العلاء والمفضل الضبى ، والأصمعى ، ثم ابن سلام صاحب طبقات الشعراء ، وبخاصة (الأصمعى) الذى انبرى لهؤلاء الوضاعين المزيفين ، وتعقبهم ، بل وقعد لهم كل مرصد، كما كان ( المفضل الضبى ) من قبله وتتابع الرواة الأثبات بعد الضبى والأصمعى يحققون ويمحصون فى التراث ، ومن أهم هؤلاء فى هذا المضمار ( محمد بن سلام الجمحى ) فقد سجل فى كتابه الشهير ( طبقات فحول الشعراء ) كثرة كاثرة من الملاحظات - ملاحظات أهل العلم والدراية فى رواية الشعر القديم من أساتذة المدرسة البصرية التى ينتسب إليها وأضاف إلى ذلك كثيراً من ملاحظاته الشخصية ، ونرى (ابن سلام الجمحى) يومئ فى كتابه إلى هذه القضية وقد ردها إلى عاملين : عامل القبائل التى كانت تتزيد فى شعرها لتتزيد فى مناقبها ، وعامل الرواة الوضاعين . يقول ابن سلام مبينًا السبب فى ذلك : فلما راجعت العرب رواية الشعر ، وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم ، ثم كانت الرواة بعد فزادوا فى الأشعار[1] .

ويفهم من هذه المقولة أن القبائل كانت تزيد فى شعر شعرائها بغية التفاخر والاستحواذ على المناقب والفضائل التى تعلى مكانتهم وترفع من أقدارهم بين العشائر الأخرى ، وقد أومأ ( ابن سلام ) إلى ما زادته قريش فى أشعر الشعراء ، وقد أضافت كثيراً إلى شعر ( حسان بن ثابت )[2] ، ثم نراه يذكر أن من أبناء الشعراء وأحفادهم من كان يقوم بذلك من أمثال ( داود بن متمم بن نويرة ) فقد حدث أن أبا عبيدة استنشده شعر أبيه ( متمم بن نويرة ) ولاحظ أنه لما نفذ شعر أبيه جعل يزيد فى الأشعار وبعضها ، وإذا كلام دون كلام ( متمم ) وإذا هو يحتذى على كلامه فيذكر المواضع التى ذكرها متمم والوقائع التى شهدها فلما توالى ذلك علم ( أبو عبيدة ) ومن كانوا معه أنه يفتعله[3] ،

---

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى ص٢٢ طبع مطبعة المحمودية بالقاهرة .

(٢) ذاته ، ص١٨٩ وما بعدها .

(٣) ذاته ص٢٣ بتصرف .

كما شك فى قصيدة أبى طالب التى روتها قريش فى مدح الرسول عليه السلام[1] ويقول الرافعى : ( قال أبو عبيدة إنه قدم البصرة فى بعض ما يقدم له البدوى من الجلب والميرة ، قال : فأتيته أنا وابن نوح ، فسألناه عن شعر أبيه متمم وقمنا له بحاجته فلما نقد شعر أبيه جعل يزيد فى الأشعار ويضعها لنا ، وإذا كلام دون كلام ( متمم ) وإذا هو يحتذى على كلامه فيذكر المواضع التى ذكرها متمم والوقائع التى شهدها ، فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله )[2] .

ثم نرى الدكتور ( طه حسين ) يضيف عاملاً على هذين العاملين وهو ( عامل الدين والشعوبية ) ، أما عامل الدين فيتمثل فى الأشعار المنظومة فى الجاهلية إرهاصًا لبعثة الرسول ﷺ ، وفيما نسب إلى الجن والأمم القديمة البائدة ، وأما عامل الشعوبية فقد دفع الأعاجم إلى أن تضع على ألسنة الجاهليين أشعارًا تثبت مثالبهم ومناقب الأعاجم ، كما دفع العرب إلى وضع أشعار تثبت مثالب العجم ومناقب العرب ، ومن هذا المنطلق أخذ ( طه حسين ) يشكك فيما أضافه الجاحظ إلى الجاهليين فى كتابه ( الحيوان ) مما يدل على اتساع معرفة العرب فى هذا العلم . ونحن نرى أن مرد ذلك كله إلى العصبية التى كانت تسيطر على هذا العصر برمته ، فكل قبيلة تريد أن تتباهى وتفاخر الأخرى بوفرة مناقبها ، وكثرة أيامها ووقائعها ، وشعراء أيضًا سجلوا هذه الأحداث مما يدللون به على صدق مقولتهم ، ذلك الذى دفعهم إلى التزيد والنحل والوضع سواء فى ذلك تزيد القبائل ، أو الرواة الوضاعين يقوى ذلك ما عرفناه من خلال دراستنا للعصر الجاهلى من اعتزاز الجاهليين بالشعراء واحتفالهم بالشعر وإقامة الموائد والأفراح وضرب النساء بالمزامير كما يفعلن فى الأعراس ، ذلك إذا نبغ فيهم شاعر .

كما نرى القبائل المجاورة تفد للتهنئة ، كل ذلك يرجع ويعضد ما ذهبنا إليه من أن الدافع الحقيقى للوضع والنحل والتزيد هو « العصبية القبلية » ودافع المنافسة والظهور بأنهم عرفوا ما لم يعرفه غيرهم .

---

(١) طبقات ابن سلام ، ص٢٠٤ .

(٢) تاريخ آداب العرب للرافعى ١/ ٣٥٣ .

ومما سبق يتبين لنا أن الرواة من أمثال ( أبى عبيد ) كانوا يراجعون ما ترويه القبائل ، وكانوا يرفضون ما يتبين لهم زيفه ، وذلك إما بالرجوع إلى أصول صحيحة أو إلى أذواقهم وما يحسنون من نقد الشعر ومعرفتهم بالشاعر ونظمه وقاموسه الشعرى ، كما أن شكهم فى قصيدة أبى طالب التى أومأنا إليها آنفًا دليل على أنهم نظروا فى شعر «قريش» فقبلوا منه ورفضوا[1] وهم يفحصون ويحققون فى شعر المدينة كما فحصوا وحققوا فى شعر قريش وغيرها من القبائل .

ويقول الرافعى : ولم يكن من سبب فى جاهلية العرب يبعثهم على وضع الشعر ونحلته غير قائله ، وإرساله فى الرواية على هذا الوجه ، لأن شعراءهم متوافرون ، ولأنهم لا يطلبون بالشعر إلا المحامد ، والمعايير وقصارى ما يكون من ذلك أن يتزايد شاعرهم فى المعنى ويكذب فيه إذا هو حاول غرضًا أو أراغ معنى مما تلك سبيله ، وعلى أن ذلك لا يكون إلا فى الأخبار التى تلحق بالتاريخ ، لأن الشاعر موضع الثقة ، وهو مصدر رواية فى العرب فإن أرسل القول أرسل معه التاريخ فيجريان معًا ، وذلك كالذى ادعاه « الأعشى » فى منافرة ( علقمة بن علاثه ) و ( عامر بن الطفيل ) فإنهما تنافرا إلى (هرم بن قطبة) فى خبر مشهور ، فاحتال لهما حتى رضيا بحكمه جميعًا ، إذ كره أن يفضل أحدهما على الآخر وهما ابنا عم فيوقع بذلك عداوة بين الحيين ، فوصفهما بأنهما فى المنزلة كركبتى البعير الأردم تقعان إلى الأرض معًا ، ولكن الأعشى أدعى أنهما حكما ( هرما ) وأنه حكم ( لعامر ) على ( علقمة ) وقال فى ذلك بعض قصائده وأشاعها فى العرب فلبس على الناس ، وإنما جاءت هذا الإفك لأنه كان ممن ثار مع ( عامر ) وكان قبل ذلك حين رجع من عند ( قيس بن معد يكرب ) بما أعطاه طلب لجوار والخفرة عن علقمة فلم يكن عنده ما طلب وأجاره وخفره ( عامر ) حتى أداه وماله إلى أهله .

وهذا التزيد هو الذى يسميه الرواة أكاذيب الشعراء ، إما أن يكون فى عرب الجاهلية من يصنع الشعر وينحله غيره على نحو ما كان فى الإسلام فذلك ما لا نعلمه

---

(١) طبقات ابن سلام ، مرجع سابق ص٢٠٥ .

ولا نظنه البتة[1] إنما كان منهم عكس هذا ، وهو انتحال الرجل شعر غيره أو الاجتلاب منه أو نحو ذلك ، قال الراجز :

**يا أيها الزاعم أنى أجتلب وأننى غير عضامى أنتجب**
**كذبت ، إن شر ما قيل الكذب[2]**

ولما جاء الإسلام واندفع به العرب إلى الفتوح اشتغلوا عن الشعر بالجهاد والغزو حينًا من الزمن ، فلما راجعوا روايته بعد ذلك وقد أخذ منهم السيف والحيف وذهب كثير من الشعر وتاريخ الوقائع بذهاب رواته صنعت القبائل الأشعار ونسبتها إلى غير أهلها تتكثر بها وتعتاض مما فقدته ، وكان فى العرب قوم آخرون قلت وقائعهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا بذوى الكثرة من ذلك ، وإنما العزة للكاثر ، فقالوا على ألسن شعرائهم ما لم يقولوه ، وأخذ عنهم الرواة .

وأولى القبائل التى وضعت الشعر فى الإسلام ( قريش ) وكانت أقل العرب شعراً وشعراء ، فإنها لما تعاضهت واستبت وكذب بعضها على بعض أول العهد بالإسلام حين كان منها المسلمون ومنها القاسطون ومنها دون ذلك وضعوا على ( حسان بن ثابت ) أشعاراً كثيرة لا تليق به ولا تجور عليه ، وما نرى العرب إلا أخذت أخذها فى ذلك من بعد[3] .

ولما كانت الرواية العلمية فى القرن الثانى وشمر الرواة فى طلب الشعر للشاهد والمثل استفاض الوضع فى العرب وتفرغ قوم لذلك مثل ( محمد بن عبد الملك الفقى ) (راوية بنى أسد) الذى وضع للرواة أشعاراً كثيرة أدخلها فى روايته عن قومه ، وإن أشد ما كان يعضل بالرواة يومئذ أن يقول الرجل من ولد الشعراء فى العرب عن لسان أبيه

---

(١) تاريخ آداب العرب للرافعى ١/ ٣٥١ ، ٣٥٢ . دار الكتاب العربى ، لبنان ، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

(٢) ذاته ، هامش ص٣٥٢ . العضاه : شجر ، الانتجاب : نزع نجيثه بفتح الجيم وهو لجاؤه أو قشر قروقة .

(٣) ذاته ، ص٣٥٢ وما بعدها .

تكثيراً لشعره ، فإن هذا كان مما يشكل عليهم لأنهم لا يميزون أكثر الشعراء إلا بالنسبة وهى محمل الصدق والكذب .

أما الصنعة الشعرية فقلما تختلف فى أشعار العرب اختلافًا يظهر لأولئك الرواة إلا فى القليل من صنعة الفحول المتقدمين ، وكان القوم إذا تعلقوا برجل من ولد الشعراء وألحوا عليه فى السماع ، ورغبوا فى شعر أبيه دونه فكثيراً ما يفعل بهم مثل ذلك ، ومن هؤلاء ( دواوين متمم بن نويرة ) الشاعر[1] .

**شعر الشواهد :**

وهو النوع الذى يدخل فيه أكثر الموضوع ، لحاجة العلماء إلى الشواهد فى تفسير الغريب ومسائل النحو ، وقد اشترط ذلك علماء المصرين ( البصرة والكوفة ) بعد أن قامت المناظرات بينهم فى فروع النحو ومسائله ، وكانوا يستشهدون على ذلك بأشعار الطبقتين من الجاهليين والمخضرمين . ثم اختلفوا فى الإسلاميين مثل ( جرير ، والفرزدق ) وأكثرهم على جواز الاستشهاد بأشعارهم .

وكان (أبو عمرو بن العلاء) و (عبد الله بن إسحاق) و (الحسن البصرى) و(عبد الله ابن شبرمة) يلحنون ( الفرزدق ) و ( الكميت ) و ( ذو الرمة ) وأضرابهم ويعدونهم من المولدين الذين لا يستشهد بكلامهم .

قال الأصمعى : ( جلست إلى أبى عمرو ) عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت إسلامى ، وأبو عمرو هذا يقول فى شعر تلك الطبقة : ( لقد حسن هذا المولد حتى هممت أن امر صبياننا بروايته )[2] .

وقد قلت شواهد النحو واللغة بعد ذهاب الرواه وعفاء مجالسهم حتى صارت نسبة الآثار التاريخية فى الضن بها ، والحرص عليها ، وتداولها كما هى لأن قيمتها فى الحالة نفسها التى هى عليها ، ولم يشتهر أحد فى المتأخرين بالإكثار من تلك الشواهد

---

(١) تاريخ آداب العرب للرافعى ١/ ٣٥٣ ، دار الكتاب العربى ، لبنان ، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

(٢) ذاته ، ص٣٥٤ .

والاتساع فى حفظها كابن مالك النحوى الشهير صاحب الألفية المتوفى سنة (٦٦٢هـ) والكوفيون أكثر الناس وضعًا للأشعار التى يستشهد بها لضعف مذهبهم[١] .

ويقدم لنا ابن سلام طائفتين من الرواة كانتا ترويان منتحلاً كثيراً وتنسبانه إلى الجاهليين :

**الطائفة الأولى** : كانت تحسن نظم الشعر وصوغه ثم نضيف ما تنظمه وتصوغه إلى الجاهليين مثل ( حماد ، وخلف الأحمر وجناد ) .

**الطائفة الثانية** : ولم تكن هذه الطائفة تحسن النظم ، ولا الاحتذاء على أمثلة الشعر الجاهلى ، ولكنها كانت تحمل كل غثاء منه وكل زيف ، وهؤلاء هم رواة الأخبار والسير والقصص مثل ( ابن إسحاق ) صاحب السيرة النبوية حيث كانت تصنع له الأشعار ويدخل فى سيرته دون تحرز أو تحفظ منطلقًا بالشعر العربى من لم ينطقوه من قوم عاد ، وثمود ، والعماليق ، وجديس[٢] حيث يقول الله تعالى : ﴿ **وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى** ﴾ فكيف يكون لهما شعر ؟ وقال تعالى أيضًا : ﴿**فهل لهم من باقية**﴾ .

يقول الجاحظ : ( فأنا أعجب من مسلم يصدق بالقرآن ، يزعم أن قبائل العرب من بقايا ثمود )[٣] وكان أبو عبيدة يتأول قوله ( وثمود فما أبقى ) أن ذلك إنما وقع على الأكثر وعلى الجمهور الأكبر ، وهذا التأويل أخرجه من أبى عبيدة سوء الرأى فى القوم ، وليس له أن يجئ إلى خبر عام مرسل غير مقيد ؛ وخبر مطلق غير مستثنى منه فيجعله خاصًا كالمستثنى منه ، وأى شىء بقى لطاعن أو متأول بعد قوله ( فهل ترى لهم من باقية ) .

فكيف يقول ذلك إذا كنا نحن قد نرى منهم فى كل حى باقية ، معاذ الله من ذلك . ورووا أن الحجاج قال على المنبر يومًا : تزعمون أنا من بقايا ثمود وقد قال الله تعالى : ﴿ **وثمود فما أبقى** ﴾[٤] .

---

(١) تاريخ آداب العرب للرافعى ١/ ٣٥٥ ، دار الكتاب العربى ، لبنان ، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

(٢) العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ، ص١٦٥ بتصرف .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ١٨٨ .

(٤) ذاته ، مرجع سابق .

وقد وصف ( ابن سلام الجمحى )[1] صنيع هؤلاء بأنه شعر غث لا خير فيه ، ولا حجة فى عربيته ولا أدب يستفاد ، ولا معنى يستخرج ، ولا مثل يضرب ، ولا مديح رائع ولا هجاء مقذع ، وقد أومأ صاحب ( طبقات الشعراء ) إلى أن الدافع إلى النحل والوضع فى الشعر الجاهلى هو ( العصبية القبلية ) ؛ مما أدى إلى التنافس فى أن تكون لكل قبيلة هى صاحبة القدح المعلى فى الشعر وقلته وكثرته ، فقالل : ( ولما راجعت العرب رواية الشعر ، وذكر أيامها ومآثرها ، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم ، ثم كانت الرواة فزادوا فى الأشعار )[2] .

ورفض ( ابن سلام والأصمعى ) وأضرابهما رواية الطائفتين جميعًا حيث إنهم لم يقبلوا مما يرويه هؤلاء شيئًا إلا أن يأتيهم من مصادر وثيقة ، كما أنهم لم يقبلوا شيئًا ممن يرويه ( ابن إسحاق ) لا عن الأمم البائدة فحسب ، بل عن عرب الجاهلية أنفسهم إلا أن يجدوه عند رواة أثبات ، يقول ابن سلام ( وقد ذكر أبو سفيان بن الحارث ) أحد شعراء (قريش) الذين كانوا ينافسون ( حسان بن ثابت ) وشعراء المدينة : ( إن شعره فى الجاهلية سقط ولم يصل إلينا منه إلا القليل ) ثم علق على ذلك بقوله :

ولسنا نعد ما يروى ( ابن إسحاق ) له ولا لغيره شعرًا ، ولأن لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذاك لهم[3] فقد كانوا يرفضون رواية ( ابن إسحاق ) صاحب السيرة وأمثاله من الرواة الوضاعين مثل ( عبيد ابن شرية ) يقول صاحب طبقات فحول الشعراء ( وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وصفوا ولا ما وضع المولدون )[4] مما حمله رواة القصص والأخبار من شعر غث لا خير فيه ، ولا حجة فى عربيته ولا أدب يستفاد ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب ولا مديح رائع ولا هجاء مقذع ولا فخر

(١) طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى ص٥ ط المحمودية بالقاهرة .
(٢) ذاته ، ص٣٩ وما بعدها .
(٣) ذاته ، ص٢٠٦ والعصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ، ص١٦٥ .
(٤) طبقات فحول الشعراء ، ص٤٠ .

معجب ولا نسيب مستطرف )[1] ففى الشعر الجاهلى منتحل لا سبيل إلى قبوله ، وفيه موثوق به على درجات ، منه ما أجمع عليه الرواة ، ومنه ما رواه ثقات لا شك فى ثقتهم وأمانتهم من أمثال ( المفضل الضبى ) و ( الأصمعى ) و ( أبى عمرو بن العلاء ) وقد يغلب المنتحل الموثوق به ولكن ذلك لا يخرج بنا إلى إبطال الشعر الجاهلى عامة ، وإنما يدفعنا إلى بحثه وتمحيصه مهتدين بما يقدم لنا الرواة الأثبات من أضواء تكشف الطريق[2] ويقول الدكتور ( ناصر الدين الأسد ) :

إن الشعر الجاهلى كان عرضة منذ الجاهلية نفسها وسنوات الإسلام الأولى للوضع والنحل والانتحال ، والأمثال التى بين أيدينا قليلة ولكن فيها مقنعًا ، إذ إنها تدل دلالة واضحة على أن هذه الظواهر الأدبية كانت معروفة شائعة منذ أبعد ما نعرف من عصور الشعر العربى ، فقال أبو عبيدة « كان قراد بن حنش من شعراء غطفان » وكان جيد الشعر قليلة وكانت شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه وتدعيه ، منهم (زهير بن أبى سلمى) ادعى هذه الأبيات :

**إن الرزية لا رزية مثلها ... ما تبتغى غطفان يوم أضلت**

**إن الركاب لتبتغى ذا مرة ... بجنوب نخل إذ الشهور أحلت**

**ولينعم حشو الدرع أنت لنا إذا ... نهلت من العلق الرماح وعلت**

**ينعون خير الناس عند كريهة ... عظمت مصيبتهم هناك وحلت[3]**

ويروى أن النابغة الجعدى دخل على ( الحسن بن على ) فودعه ، فقال له الحسن : أنشدنا من بعض شعرك : فأنشد :

**الحمد لله لا شريك له ... من لم يقلها فنفسه ظلما**

فقال له : يا أبا ليلى ، ما كنا نروى هذه الأبيات إلا لأمية بن أبى الصلت قال : يا ابن رسول الله إنى لأول الناس قالها ، وإن السروق من سرق أمية شعره[4] وكان

(١) طبقات فحول الشعراء ، ص٥ . (٢) ذاته ، ص٦ بتصرف .
(٣) مصادر الشعر الجاهلى د/ ناصر الدين الأسد ، ص٣٢٣ .
(٤) طبقات ابن سلام والأغانى ٥/ ١٠ .

الأعشى قد مدح ( قيس بن معد يكرب الكندى ) بقصيدة دالية ، فقال له قيس : ( إنك تسرق الشعر ) فقال له الأعشى : قيدنى فى بيت حتى أقول شعراً فحبسه وقيده[1] ، فقال عند ذلك قصيدته التى أولها :

أأزمعـت من آل ليـلى ابتكـارا وشطت على ذى هوى أن نزارا

وفيها يقول :

وقيـدنى الشعـر فى بيتـه كما قيد الآسرات الحمارا

وسألت عائشة أم المؤمنين ، من صاحب هذه الأبيات[2] :

جزى الله خيـراً من إمام وباركت يد الـله فى ذاك الأديم المـمـزق
فمن يسع أو يركب جناحى نعـامة ليدرك مـا حاولت بالأمس يـسبق
قـضيت أمـوراً ثم غادرت بعـدها بواثق فى أكـمـامـهـا لم تفـتق
ومـا كنت أخـشى أن تكون وفـاته بكفى سـبنتـى أزرق العين مطرق

فقالوا : ( مزرد بن ضرار ) قالت عائشة : ( فلقيت مزرداً ) بعد ذلك فحلف بالله ما شهد تلك السنة الموسم ، وابن سلام ينسبها إلى ( جزء ) أخى مزرد[3] .

ومن عـجب أن يضع المسلمـون الأولون شعـراً وينحلوه أبا بكر الصـديق حـتى لقـد روى الزهرى عن عروة عن عائشة أنها قالت : كذب من أخبركم أن أبا بكر قال بيت شعر فى الإسلام !! ولعل من خير ما يدل على هذا الذى نذهب إليه بيتًا قاله (مزرد بن ضرار) فى أبيات يصف فيها نفسه وشعره ، وأنه ليس ممن ينتحل الشعر ، فقال :

وباستك إذ خلفتنى خلف شاعر من الناس لم أكفـئ ولم أتنحـل

---

(١) الشعر والشعراء ، ص٢١٤ ، ٢١٥ .

(٢) ابن سعد ٣/ ١ ، ٢٤١ وطبقات ابن سلام ص٤٧ ونسبـها إلى جزء أخى مزرد ابن سعد وفى طبقات ابن سلام وهكذا :

جزى الله خيراً من أمير وباركت ... ... ... ... ... ...

(٣) ذاته ، مرجع سابق .

فهنا ينفى الشاعر عن نفسه النحل والانتحال ، وسرقة شعر غيره ونسبته إلى نفسه ، ودليل آخر وهو وصف الفرزدق للشاعر (علقمة الفحل) من أن شعره لا يستطيع أحد أن ينحله ، فهو ذو طابع معروف وسمت يتأبى على غيره من الشعراء ، فلا يستطيع نسبته إلى نفسه ، فقال :

**والفحل علقمة الذى كانت له  حلل الملوك كلامه لا ينحل**[1]

ولم يكن الوضع والنحل فى الشعر الجاهلى ليخفى على الرواة العلماء ، فقد تنبه له كثيرون منهم ، بل قلما نجد راوية عالمًا من القرنين الثانى والثالث لا تذكر لنا الأخبار المروية عنه أنه نص نصًا صريحًا على أن بيتًا أو أبياتًا بعينها موضوعة منحولة ، وإليك بعض ما نص عليه العلماء من رجال الطبقة الأولى والثانية ، فقد ذكر أبو عمرو بن العلاء ( أن ذا الإصبع العدوانى ) قال يرثى قومه :

**وليس المرء فى شىء  من الإبرام والنقض**
**إذا يفعل شيئًا خا  له يقضى وما يقضى**
**حديد العيش ملبوس  وقد يوشك أن ينضى**[2]

ثم نص على أنه لا يصح من أبيات ذى الإصبع الضادية هذه إلا الأبيات التى أنشدها وأن سائرها منحول[3] ، بينما يورد ( الأصفهانى ) نحوًا من أربعة وعشرين بيتًا آخر عدا الأبيات المذكورة آنفًا[3] .

وذهب أيضًا ( أبو عمرو بن العلاء ) إلى أن القصيدة المنسوبة إلى ( امرئ القيس ) والتى مطلعها[4] .

**لا وأبيك ابنة العامر  ى لا يدعى القوم أنى أفر**

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ١ رما بعدها وطبقات ابن سلام ، ص٨٨ .
(٢) الأغانى ٢/ ١٠٦ .
(٣) ذاته ، ص٩٦ .
(٤) ذاته ، ص٩٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ .

هى لرجل من أولاد ( النمر بن قاسط ) يقال له (ربيعة بن جعشم) وأولها عنده[1] :

**أحار بن عمرو كأنى خمر وبعـد على المـرء ما يأثمر**

وها هو ذا ( عمر بن عبد الملك ) وأخوه ( مسمع ) الملقب ( كرديين ) وهما من طبقة أبى عـمرو بن العـلاء ( عـلامـتـان ) بالنسب روايتـان للشـعـر ، روى عنهـمـا أبو عـبيـدة والأصمعى أخباراً وشعراً ينكران ما أضيف إلى قصيدة الحارث بن عباد ولم يصححا منهما غير الأبيات التالية ، وهى :

**قـربـا مـربط النـعـامـة منى لقحـت حرب وائل عن خـيالى**
**لا يحـيـر أغنى قـتـيـلا ولا رهـ ـط كليب تزاجـروا عن ضلال**
**لم أكـن من جناتـهـا علم الـله وإنى بحـرهـا اليـوم صـال[2]**

ومن أمثلة ذلك عند أبى عـمرو الشيبـانى أنه كـان يدفع أن يكون هذا البيت لعنترة العبسى وهو :

**هل غـادر الشـعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم**

ولم يكن يرويه حتى سمع أبا خزام العكلى يرويه له[3] . وأما الأخبار المروية فى ذلك عن الأصمعى فكثيرة ، منها ما هو عام مطلق ومنها ما هو مخصص ينص فيه على بيت أو أبيات بعينها ، فمن الضرب الأول ما أورده من أن الأصمعى قال[4] : أقمت بالمدينة زمانًا ما رأيت بها قصيدة صحيحة إلا مصفحة أو مصنوعة وأنه كذلك قال[5] : ويقال إن كثيراً من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه وأنه قال أيضًا : ( أكثر شعر ) المهلهل محمول عليه[6] .

---

(١) خزانة البغدادى ١/ ٣٧٤ تحقيق هارون ط الهيئة المصرية العامة للمكتبات سنة ١٩٧٩م .
(٢) الأغانى ٥/ ٤٧ وما بعدها الشعر الجاهلى ، ص٣٣٦ وما بعدها .
(٣) الأغانى ٩/ ٢٢٢ .
(٤) المزهر للسيوطى ٣/ ٤١٢ وما بعدها .
(٥) الموشح للمرزبانى ، ص٣٤ .
(٦) ذاته ، ص٧٤ .

ومن الضرب الثانى أنه قال : ( أعيانى شعر الأغلب )[1] ما روى له إلا اثنتين ونصفًا ، فلما سئل : كيف قلت نصفًا ؟ أجاب بقوله : ( أعرف له اثنتين وكنت أروى نصفًا من التى على القاف ، فطولوها وكان ولده يزيدون فى شعره حتى أفسدوه ) وقد قال أيضًا فى القصيدة المنسوبة إلى ( الأغلب ) فى ( سجاح ) إنه كان يقال إن هذه القصيدة فى الجاهلية للشاعر ( جشم بن الخزرج ) وقال الأصمعى أيضًا : الناس يروون لأمية بن أبى الصلت القصيدة التى فيها[2] :

**من لم يمت عبطة يمت هرمًا  الموت كأس فالمرء ذائقها**

قال : وهذه لرجل من الخوارج . وكان الأصمعى يرى أن أبياتًا من قصيدة ( زهير ابن أبى سلمى المزنى ) والتى يقول فى مطلعها :

**أمن أم أوفى دمنة لم تكلم  بحومانة الدراج فالمتثلم**

ليست له وإنما هى للشاعر : ( صرمة بن أبى أنس الأنصارى )[3] وكان كذلك يشك فى بيت الشاعر ( عنترة بن شداد العبسى ) :

**هل غادر الشعراء من متردم  أم هل عرفت الدار بعد توهم**

ويدفع أن يكون له[4] ، ويروى أن أول القصيدة هو :

**يا دار عبلة بالجواء تكلمى  وعمى صباحًا دار عبلة واسلمى**

وهناك أمثلة أخرى وأخبار كثيرة فى هذا الباب لأبى عبيدة تكاد تضارع أخبار الأصمعى ، وقد آثرنا أن نسوق شاهدًا واحدًا من هذا اللون ومن يرد التزود فليراجعه فى مظانه ومصادره ، وهو أنه ذكر أبياتًا للشاعر ( علقمة الفحل ) أولها :

**وقد اغتدى والطير فى وكناتها  وماء الندى يجرى على كل مذنب**

---

(١) الموشح للمرزبانى ، ص١٢٣ .

(٢) طبقات ابن سلام ، ص٥٧٦ .

(٣) ذاته ، ص٧٨ مصادر الشعراء الجاهلى ص٣٢٨ والمعمرين من العرب لأبى حاتم سهل بن محمد السجستانى تصحيح الخانجى سنة ١٩٠٥م .

(٤) الأغانى ٩/ ٢٢٢ .

وقال : وقد يخلط قوله الشاعر ( امرئ القيس بن حجر ) وقد نسبت شعر امرئ القيس إليه وأفردته من شعر علقمة[1] .

ونكتفى هنا بذكر ما أوردناه من أخبار الطبقة الأولى من الرواة والعلماء ثم ننتقل إلى الحديث بإيجاز غير مخل عن رواة الطبقة الثانية وسنجتزئ الحديث عن أبى حاتم سهل بن محمد السجستانى وأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وابن قتيبة الدينورى أما أبو حاتم فقد ذكر أبياتًا ثلاثة نسبها إلى ( عمرو بن ثعلبة ) وهى :

**تهزأت عرس واستنكرت شيبى ففيها جنف وازورار**

**لا تكثرى هزءا ولا تعجبى فليس بالشيب على المرء عار**

**عمرك هل تدرين أن الفتى شبابه ثوب عليه معار**

ثم قال أبو حاتم السجستانى : ( زعم بن عطاء بن مصعب الملط ) أن خلفا الأحمر وضع البيت الأخير[2] وهو :

**عمرك هل تدرين أن الفتى شبابه ثوب عليه معار**

ثم أورد أبياتًا سبعة نسبها إلى « مرداس بن صبيح » آخرها قوله :

**فلا يضركم كبر فإنى كريم ليس فى أمرى شتات**

ثم قال : وأظن البيت الأخير ليس منها وقد أورد حاتم السجستانى بيت زهير بن أبى سلمى المزنى وهو :

**سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم[3]**

ثم قال : وكان الأصعمى يدعى أن القصيدة للشاعر (أنس بن زنيم) قال (أبو روق) غلط أبو حاتم ، إنما كان الأصمعى يقول : القصيدة للشاعر « صرمة بن أبى أنس الأنصارى »[4] وأما الجاحظ فهو يومئ إلى الموضوع والمنحول على ثلاث طرائق ، وهى :

---

(١) كتاب الخيل ، ص١٢٦ .

(٢) كتاب المعمرين من العرب للسجستانى ص٢٣ تصحيح الخانجى سنة ١٩٠٥م .

(٣) ذاته ، ص ٣٤ وما بعدها .

(٤) شرح القصائد الطوال لابن الأنبارى ، ص٣٨٧ ت/ هارون والديوان .

(٥) كتاب المعمرين للسجستانى ص٦٦ بتصرف .

الأولى : وهى أن ينسب الشعر إلى شاعر بعينه ، ثم يعقب عليه بما يفيد شكه فيه .

الثانية : جزمه بأن هذا الشعر منحول ومصنوع دون أن يسوق دليلاً على ذلك ، أو يقيم حجة على صدق ما يقول .

الثالث : أنه يقطع بأن هذا الشعر منحول ، ثم يورد من الحجج والبراهين ما يراه كفيلاً بدعم رأيه .

فمن اللون الأول : أنه يقول : قال فلان ، ثم يذكر اسم شاعر بعينه معقبًا عليه بقول : ( إن كان قالها ) وقد وقع منه ذلك مرارًا وتكرارًا[1] .

ومن اللون الثانى قوله : ( وفى منحول شعر النابغة ) :

**فألقيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون[2]**

ومن اللون الأخير : أنه أورد أبياتًا رعم بعض الرواة أنها جاهلية فيها ذكر لانقضاض الكواكب ، والجاحظ ينكر ذلك ، ويرى أن انقضاض الكواكب لم يكن فى الجاهلية البعيدة عن مولد رسول الله ﷺ ، بل حدث أول مرة عند مولده أو ، قبيله فهو بذلك من أعلام ميلاده ، أو إرهاص له[3] ، ثم يعقب على هذه الأشعار قائلاً : (وسنقول فى هذه الأشعار التى أنشدتموها ونخبر عن مقاديرها وطبقاتها) فأما قوله :

**فانقض كالدرى من متحدر لمع العقيقة جتح ليل مظلم**

فخبرنى أبو إسحاق أن هذا البيت فى أبيات أخرى ، كان أسامة صاحب ( روح ابن أبى همام ) هو الذى كان ولدها ، فإن اتهمت خبر أبى إسحاق فسم الشاعر ، وهات القصيدة ، فإنه لا يقبل فى مثل هذا إلا فى بيت صحيح الجوهر من قصيدة صحيحة لشاعر معروف وإلا فإن كل من يقول الشعر يستطيع أن يقول خمسين بيتًا كل بيت فيها أجود من هذا البيت ، وأما ما أنشدتم من قول ( أوس بن حجر ) :

**فانقض كالدرى يتبعه نقع يثور تخاله طنبا**

---

(١) الحيوان للجاحظ ٣/ ٤٩ ، ٦٨ ، ٧٠ و ٤/ ٢٤٨ ، ٢٤٩ و ٦/ ٣٣٩ .

(٢) ذاته ، ٢/ ٢٤٦ . (٣) ذاته ، ص٢٧٢ وما بعدها .

فإن هذا الشعر ليس يرويه ( لأوس ) إلا من يفصل بين شعر ( أوس بن حجر ) و(شريج بن أوس) . وقد طعنت الرواة فى هذا الشعر الذى أضفتموه إلى ( بشر بن أبى خازم ) من مثل قوله :

**والعير يرهقها الحمار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب**

فزعموا أنه ليس من عادتهم أن يصفوا عدو الحمار بانقضاض الكوكب ولا بدن الحمار ببدن الكوكب ، وأما ( ابن قتيبة ) فقد أومأ إلى النحل والوضع فى موطنين من كتابه ( الشعر والشعراء ) .

الموطن الأول : وقد أورد فيه قول الشاعر ( الأعشى )[1] .

**إن محلاً وإن مرتحلاً وإن فى السفر ما مضى مهلا**
**استأثر الله بالوفاء وبالحمد وولى الملامة الرحلا**
**والأرض حمالة لما حمل الله وما إن تزد ما فعلا**
**يومًا تراهًا كشبه أرديه القصب ويومًا أديمها تفلا**

ثم عقب عليها بقوله : ( وهذا الشعر منحول ، ولا أعلم فيه شيئًا ) يستحسن إلى قوله :

**يا خير من يركب بالمطى ولا يشرب كأسًا بكف من بخلا**

الموطن الثانى : وأورد فيه ( ابن قتيبة ) سبعة أبيات من شعر ( لبيد بن ربيعة ) آخر هذه الأبيات قوله :

**وكل امرئ يومًا سيعلم سعيه إذا كشفت عند الإله المخامل**

ثم عقب عليه بقوله : وهذا البيت الأخير يدل على أنه قيل فى الإسلام وهو شبيه بقول الله تعالى ﴿ **وحصل ما فى الصدور** ﴾ أو كان لبيد بن ربيعة قبل إسلامه يؤمن بالبعث والحساب ، ولعل البيت منحول[2] .

---

(١) الشعر والشعراء ١/ ١٤ ، المقصب : ضرب من برود اليمن . النفل : الفاسد المدباغة .
(٢) ذاته ، ص٢٣٧ .

بعد ما تقدم من أسباب الوضع والنحل فى الشعر الجاهلى نستطيع أن نقول :

إن هذه الأسباب كانت ثغرة نفذ منها ، بل واستغلها الاستشراق وأهله استغلالاً سيئًا ، ومن حذا حذوهم من نقاد العرب المحدثين وذلك بالشك والتشكيك فى الشعر الجاهلى جميعه أو جله مستندين فى ذلك إلى الرواة الوضاعين ، غاضين الطرف عن الرواة الأثبات ، والعلماء الثقات ، وقد لفتت هذه القضية أنظار الباحثين المحدثين من المستشرقين والعرب ، وبدأ النظر فيها المستشرق ( نولدكه ) سنة ١٨٦٤ وتلاه ( آلورد ) حين نشر دواوين الشعراء الستة الجاهليين : امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير ، وطرفة وعلقمة وعنترة فتشكك فى صحة الشعر الجاهلى عامة منتهيًا إلى أن عددًا قليلاً من قصائد هؤلاء الشعراء يمكن التسليم بصحته مع ملاحظة أن شكًا لايزال يلازم هذه القصائد الصحيحة فى ترتيب أبياتها وألفاظ كل منها ، وتابعه كثير من المستشرقين من أمثال : ( موير ) و ( باسيه ) و ( كارل بروكلمان )[1] .

وكان ( مرجليوث ) من أوائل من أثار الشك فى الشعر الجاهلى فى مقالة كاملة خصص صفحاتها للحديث عن هذا الموضوع من جميع أطرافه حيث إنه نشر فى ( مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عدد يوليو سنة ١٩٢٥م ) بحثًا بعنوان ( أصول الشعر العربى ) رجح فيه أن هذا الشعر الذى نقرأه على أنه شعر جاهلى إنما نظم فى العصور الإسلامية ثم نحله هؤلاء الوضاعون المزيفون لشعراء جاهليين ، وقد بنى رأيه هذا على ضربين رئيسيين من الأدلة وهما :

الضرب الأول : أدلة خارجية ، والضرب الثانى : أدلة داخلية .

**أولاً : الأدلة الخارجية وهى :**

**أولاً** : بدأ ( مرجليوث ) بالحديث عن وجود الشعر الجاهلى ، فقال :

« إن وجود شعراء قبل الإسلام أمر شهد به القرآن إذ إن فيه سورة باسمهم ، ومن بين الأوصاف التى كان خصوم النبى عليه السلام ينعتونه بها ، أنه كان شاعرًا مجنونًا ،

(١) العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ص١٦٦ الطبعة العاشرة ، دار المعارف ، القاهرة .

والقرآن رد على هؤلاء بقوله : ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾(١) . وأومأ القرآن إلى أن لغته ليست لغة شاعر ، ولكنها لغة رسول كريم ، وأن الله لم يعلم نبيه الشعر لأنه لا طائل له من ورائه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾(٢) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ * لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾(٣) .

فكلام النبى ﷺ حقيقة مقررة ، وعظة واضحة ، ويستنتج من ذلك أن الشعر كان يومذاك مبهمًا غامضًا ، ويومئ ( مرجليوث ) إلى أن خلاصة صفات الشعراء مجموعة فى السورة التى تحمل آيهم وفيها أن الشعراء يتبعهم الغاوون وأنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون .

ثم نرى أن الآيات التى تلى هذه الأوصاف تستثنى بعض الشعراء الأتقياء من هذا الحكم ، ويذهب إلى أنه يجوز لنا أن نستنتج مما تقدم أن الشياطين كانت تتنزل على الشعراء . قال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾(٤) .

ثم يختم ( مرجليوث ) حديثه بقوله : ( ربما كان ما تتيح لنا الشواهد القرآنية قوله ، هو أنه كان قبل الإسلام بعض الكهان من بين العرب يعرفون باسم ( الشعراء ) كانت لغتهم غامضة مبهمة كما هو الشأن دائمًا فى الوحى )(٥) .

---

(١) سورة الطور ، الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .
(٢) سورة الحاقة ، الآيات ٣٠ - ٤٢ .
(٣) سورة يس ، الآيتان ٦٩ ، ٧٠ .
(٤) سورة الشعراء ، الآيات ٢٢١ : ٢٢٢ .
(٥) مصادر الشعر الجاهلى ، ص٣٥٢ ، ٣٥٥ بتصرف .

**ثانيًا** : يبدأ ( مرجليوث ) بعد ذلك فى عرض آراء العلماء المسلمين القدماء ، ثم يثير مشكلة ابتداء الشعر العربى ونشأته ، ويقرر أنها أمر فى الغاية من الغموض حيث ذهب القدامى فيه مذاهب متباينة ، فقد عزا بعضهم شعرًا عربيًا إلى ( آدم ) وأورد آخرون قصائد غنائية عربية منذ عهد ( إسماعيل ) ثم يقرر أن الشعر العربى بصورته التى ثبت عليها بعد بدأ قبل ظهور الإسلام بأجيال قليلة على أبعد تقدير ، ومع أن الذين يذهبون هذا المذهب يجعلون مهلهلاً ، أو امرؤ القيس أول الشعراء ، فقد أوردوا شعرًا لشعراء سبقوهما بزمن طويل ، ثم يختم حديثه هذا ختامًا يكشف عن شكه فى كل ما أورد[1] .

**ثالثًا** : ثم ينتقل إلى الحديث عن حفظ الشعر الجاهلى فيقول : ( لو فرضنا أن هذا الشعر حقيقى فكيف حفظ ؟ لابد أنه حفظ إما بالرواية الشفهية ، وإما بالكتابة ، والأول هو الرأى الذى يقره المؤلفون العرب ، مع أنه ليس بالرأى الذى يجمعون عليه ، ويشك فى أن يكون الشعر الجاهلى قد حفظ بالرواية الشفهية ، بانيًا شكه على أسباب ثلاثة وهى :

أولاً : إذا كانت قصائد عديدة ، وذات أبيات كثيرة قد حفظت بالرواية الشفهية ، فلا يمكن حدوث ذلك إلا إذا وجد أفراد عملهم أن يحفظوها فى ذاكرتهم وينقلوها إلى غيرهم ، ولا نظن أن حرفة كهذه وجدت ، أو أنها بقيت خلال العقود الأولى من الإسلام .

ثانيًا : ما يذهب إليه المسلمون من أن الإسلام يجب ما قبله ، وما ورد فى القرآن من أن أتباع الشعراء هم الغاوون فحديث القرآن عنهم فيه قسوة عليهم ، واحتقار لهم ، فثمة سبب قوى يدعو إلى نسيان الشعر الجاهلى ، إذا كان ثمة شعر جاهلى حقيقة .

ثالثًا : إن الأعمال التى تخلدها عادة هذه القصائد كانت انتصارات القبائل بعضها على بعض ، والإسلام الذى يرمى إلى توحيد العرب ونجح نجاحًا كبيرًا فى تحقيق تلك الوحدة كان يحث على نسيان تلك الحوادث ، والقصائد التى من هذا الضرب تثير النفوس وتهيج الدماء[2] .

(١) مصادر الشعر الجاهلى ، ص٣٥٢ ، ٣٥٥ بتصرف .

(٢) مصادر الشعر الجاهلى د/ ناصر الدين الأسد ، ص٣٥٦ ط دار المعارف .

بعد أن اطمأن ( مرجليوث ) إلى أنه قد فند ما ذهب إليه أكثر من أن الشعر الجاهلى حفظ لنا بالرواية الشفهية ، قال : ( فلم يبق إلا الاحتمال الثانى وهو : أن هذه القصائد حفظت بالكتابة ثم يومئ إلى أن بعض الشعر الجاهلى كان يكتب ، ثم نرى نزعة الشك تسيطر عليه فينفى مرة أخرى كتابة الشعر الجاهلى من وجهين :

الأول : إن أمر الكتابة يتناقض مع صريح ألفاظ القرآن الكريم وأيضًا لأحكامه التى يقررها حيث إنه يسأل أهل مكة قائلاً : ﴿ **أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ** ﴾[1] ثم يسأل الكفار والمشركين فيقول : ﴿ **أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ** ﴾[2] وأولئك الذين يخاطبهم القرآن لم ينزل على آبائهم نذير ، قال تعالى : ﴿ **لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ** ﴾[3] وقوله سبحانه : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾[4] وقوله عز من قائل : ﴿ **وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾[5] إلى غير ذلك من الآيات التى عرضها المستشرق الفرنسى ( مرجليوث ) فى هذا الشأن .

الثانى : ويذهب فيه إلى أن الأدب فى تطوره يسير عادة ، وربما دائمًا من الصور الشاذة غير المنظمة إلى الصور المألوفة المنظمة .

ومن هنا يرى أن الشعر الذى يزعم أنه جاهلى إنما هو مرحلة تالية للقرآن ، لا سابقة عليه ، وذلك قوله : ( إن الأساليب الأدبية العربية سواء النثر المسجوع ، أو الشعر ، فيها مشابهة من أسلوب القرآن ، وفى القرآن آيات لا ينكر أنها نثر مسجوع إلا الغلاة من

(١) سورة القلم ، الآية ٣٧ .
(٢) سورة القلم ، الآية ٤٧ .
(٣) سورة يس ، الآية ٦ .
(٤) سورة السجدة ، الآية ٣ .
(٥) سورة القصص ، الآية ٤٦ .

المتشددين ، كما أن فيه أمثلة على كثير من الأوزان الشعرية والتطور من الأسلوب القرآنى إلى الأسلوب المنتظم يبدو متماشيًا مع المألوف .

وإذا كان القرآن أول أثر فى اللغة يظهر فيه الفن الأدبى ، فإن ما يدعيه لنفسه من الإعجاز فى الفصاحة أمر من اليسر على الناس فهمه ، وهو لا يختلف بذلك كثيراً عما يدعيه لأنفسهم أولئك الذين أدخلوا لأول مرة النظم فى اللغة أو ينسبه إليهم الآخرون ، أما إذا كان المستمعون قد تعودوا سماع النثر المسجوع والشعر الكامل المصقول كما يبدوان فى أساليب الآثار الأدبية التى تدل فى ظاهرها على أنها جاهلية ، فإن من اليسير إقامة الدليل على هذا الادعاء ، ثم يومئ بعد ذلك إلى الرواة من علماء القرنين الثانى والثالث الهجريين ، فيذكر ( حماداً ، وجناداً ) و ( خلفا الأحمر ، وأبا عمرو بن العلاء ، والأصمعى ، وأبا عمرو الشيبانى ، وابن إسحاق صاحب السيرة والمبرد ) فيجمع بعض ما انتشر فى الكتب العربية من إشارات تشيع الشك فى بعض ما جمعوا أو أرادوا من الشعر الجاهلى ، ثم أشار إلى أن هؤلاء العلماء لا يوثق بعضهم بعضًا ، فابن الأعرابى كان يتهم ( الأصمعى ) و ( أبا عبيدة ) ، وربما بادلوه اتهامًا باتهام ولا شك أن كلاً منهم كان يتهم الآخر[1] .

وقد ختم حديثه بقوله : وقد قيل إن بعض العلماء كانوا يشكون بل كانوا ينقدون ، فلم يضعوا ولم ينحلوا وأدخلوا فى مجموعاتهم ما كانوا يعتقدون أنه حقيقة شعر قديم ولا يكتفى ( مرجليوث ) بهذه الأدلة ، بل يسوق أدلة أخرى يراها كافية ، وكفيلة بإشاعة الشك فى الشعر الجاهلى وهى الأدلة الداخلية ، وهى :

**أولاً** : ما فى الشعر الجاهلى من إيماءات إلى قصص دينى ورد فى القرآن وما فيه من كلمات دينية إسلامية ، مثل ( الحياة الدنيا ) و ( يوم القيامة ) و ( الحساب ) وبعض صفات الله يقول الشاعر ( عبيد بن الأبرص ) وهو يقسم بلغة القرآن .

**حلفت بالله إن الله ذو نعم  لمن يشاء وذو عفو وتصفاح**

---

(١) مصادر الشعر الجاهلى د/ ناصر الدين الأسد ، ص٣٥٧ وما بعدها بتصرف .

ويمثل ( مرجليوت ) بيت الشاعرة ( جليلة بنت مرة ) على أن النساء كن يلجأن إلى الله إذا حزبهم أمر ، وذلك كالثكل مثلاً ، فنراها تقول :

**إننـــى قاتـــلة مقتـــولة ولعل الله أن يرتاح لى**

ويتمثل أيضًا بيت الشاعر ( عبيد بن الأبرص ) وهو :

**من يسأل الناس يحرموه وســـائل الله لا يخـــيب**

ثم يومئ إلى أنهم كانوا يخشون ما يغضب الله من الذنوب يقول امرؤ القيس :

**فاليوم أشرب غير مستحقب إثمـًا مـــن الله ولا واغـــل**

ويستدل بيت النابغة على أنه كان يعرف قصة نوح :

**فألفـــت الأمـــانة لم تخنهـا كذلك كان نوح لا يخون[1]**

ثم نراه يتحدث عن الألفاظ الإسلامية فى شعر ( عنترة العبسى ) فيقول ( وواضح أن عنترة العبسى ) كان يعرف وحى القرآن ومصطلحات الإسلام ؛ لأنه استخدم تلك الألفاظ وهى ( قبلة الفصاد ) والركود والسجود وحجر المقام والجحيم والمحشر ولذلك قال عنه : لا داعى للشك فى أنه كان مسلمًا تقيًا صالحًا ، وذلك فى قوله :

**إذا بلغ الفطام لنا صبى تخر له أعادينا سجـودا**

وقوله :

**عجوز من بنى حسام بن نوح كـأن جبينهـا حجـــر المقـــام**

وقوله :

**كلمـا ذقـت بارداً من لماهـا خلته فى فمى كنار الجحيم**

وقوله :

**ورجعت عنهم لم يكن قصدى سوى ذكـــر يـــدوم إلـــى أوان المحشـــر[2]**

---

(١) مصادر الشعر الجاهلى ، ص٦١ وما بعدها .

(٢) ذاته بتصرف .

**ثانيًا** :والدليل الثانى من الأدلة الداخلية هو اللغة ومدار حديثه فى هذا الدليل على أمرين :

الأمر الأول : الاختلاف بين لهجات القبائل المتعددة .

الأمر الثانى : الاختلاف بين لغة القبائل الشمالية جملة واللغة الحميرية فى الجنوب .

**ثالثًا** :والدليل الثالث قائم فى موضوعات القصائد نفسها ، وحديثه فى هذه النقطة بلغة الغموض والإبهام ، ولعله يريد أن يقول : ( إن اتفاق القصائد الجاهلية فى التطرق لموضوعات واحدة بعينها تتكرر فى كل قصيدة أمر يدل على أنها نظمت بعد نزول القرآن لا قبله ، وفى كتاب ( الأصنام ) لابن الكلبى من الشعر الجاهلى ما ينقض زعمه نقضًا ، أما الشعر المصبوغ بصبغة إسلامية بحتة فنحن نسلم بأنه موضوع ، ووضعه ينحصر فيه لا يتعداه إلى غيره ، ولا يبطل ما رواه من أشعار جاهلية .

أما من حيث اللغة وأنها ذات وحدة ظاهرة ، وهى لغة القرآن الكريم نفسها التى أشاعها فى العرب ، ولو أن هذا الشعر صحيح لمثل لنا لهجات القبائل المتعددة فى الجاهلية كما مثل لنا الاختلافات بين لغة القبائل الشمالية العدنانية واللغة الحميرية فى الجنوب ، وللرد على ذلك نقول : ( إن لغة القرآن الفصحى كانت سائدة فى الجاهلية ، وأن الشعراء منذ فاتحة هذا العصر كانوا ينظمون بها وأنها كانت لهجة قريش وسادت بأسباب دينية واقتصادية وسياسية ، فكان الشعراء ينظمون بها متخلين عن لهجتهم المحلية على نحو ما يصنع الشعراء العرب فى عصرنا الحاضر حيث إن البلاد العربية متباينة اللهجات ، فلكل بلد لهجته الخاصة به ، فلهجة الشام مختلفة عن لهجة مصر ، وربما تختلف لهجة الإقليم ذاته ، ولكنهم جميعًا ينظمون الشعر بلغة واحدة هى لغة القرآن الكريم )[1] .

أما أن الشعر الجاهلى لا يمثل اللغة الحميرية فهذا أمر طبعى لأنها ليست لغته وقديمًا قال ( أبو عمرو بن العلاء ) ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا[2]

---

(١) العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ص١٦٧ بتصرف .

(٢) طبقات ابن سلام ص٨ ط المحمودية بالقاهرة .

وقد أخذت الفصحى تقتحم الأبواب على هذه اللغة الجاهلية نفسها بحيث نستطيع أن نقول : إن تعريب الجنوبيين بدأ منذ عهود مبكرة ، وآخر أدلة ( مرجليوث ) على مزاعمه هو : أن النفوس المكتشفة للممالك الجاهلية المتحضرة وبخاصة اليمنية لا تدل على وجود أى نشاط شعرى فيها ، فكيف أتيح لبدو غير متحضرين أن ينظموا هذا الشعر بينما لم ينظمه من تحضروا من أهل هذه الممالك ، وقد دحض ( بروينلش ) هذا الدليل لأن نظم الشعر لا يرتبط بالحضارة ولا بالثقافة ، والظروف الاجتماعية ، وهناك فطريون أو بدائيون لهم شعر كثير مثل ( الإسكيمو )[1] .

والحق أن ( مرجليوث ) جانبه الصواب فى دعواه ، ولذلك هب كثير من المستشرقين بالرد عليه من أمثال : ( بروينلش ) و ( لايل ) فنرى المستشرق ( لايل ) يرد على ( مرجليوث ) قائلاً : بأنه لو فرضنا التسليم بذلك فإن من وضعوا هذا الشعر كانوا يحاكون نماذج سابقة ، وتقاليد أدبية موروثة ، وهذا يدل على وجود أصل كانوا يحاكونه .

كما يرد عليه أيضًا فى مقدمة ديوان ( عبيد بن الأبرص ) بأن تقاليد شعر الشعراء القرن الأول الهجرى تلزم بوجود الشعر الجاهلى الذى يشترك معها فى التقاليد نفسها ، وبأن الشعر الجاهلى الذى وصلنا ألفاظ غريبة لم تكن تستخدم فى عصر هؤلاء الرواة الذين دونوه[2] ، ويؤكد أن رواية هذا الشعر استمرت حية نشطة من الجاهلية إلى أن دون نهائيًا فى العصر العباسى وقد يكون أصاب قصائده بعض التغيير ولكن من يرجع إلى المعلقات مثلاً يجد لكل منها شخصيتها الواضحة التى تنفرد بها ، والتى ثبتت أنها لصاحبه .

ويضيف الدكتور ( شوقى ضيف ) إلى هذه الردود ردًا آخر فيقول إن فى الشعر الجاهلى صورًا من الأساليب والتراكيب الملتوية التى تخرج على الصورة النحوية

---

(١) راجع فى ذلك تاريخ الأدب العربى لبلاشين ص١٨٠ والعصر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف ، ص١٦٧ .

(٢) مقدمة المفضليات ، وديوان عبيد بن الأبرص ، من الظواهر الفنية فى الشعر الجاهلى للأستاذ الدكتور / سعد ظلام ص١٣٠ وما بعدها .

الطبيعية مما يدل على قدمها ، وأنها ليست من صنع العباسيين وأن فيه أيضًا صورة لتهتك خلقى لا يمكن أن تقوم إلا فى نفس وثنى ، على نحو ما يلقانا فى معلقة ( امرؤ القيس ) وحديثه عن الموضع وبسطه لجوانب متعته بالمرأة[1] .

وأما مقولته من أن الإسلام نجح فى توحيد العرب ، وكان يحث على نسيان تلك الحوادث والقصائد التى من هذا الضرب تثير النفوس وتهيج الدماء فنحن نرد عليه قائلين : إن أبا بكر رضى الله عنه دخل بيت رسول الله ﷺ ذات يوم فوجد جاريتين إحداهما تسمى ( زينب ) والأخرى تسمى ( حمامة ) تغنيان بفناء ( بغاث ) أو ( بعاث ) وهو يوم من أيام العرب فى الجاهلية سجله الشعراء ، فزجرهما أبو بكر رضى الله عنه قائلاً : أمزمارة الشيطان فى بيت رسول الله ؟ فنهاه النبى ﷺ طالبًا تركهما بقوله ( دعهما يغثيان ) وإنكار أبى بكر رضى الله عنه للمزمار وليس إنكاراً لإنشاد الشعر الذى يسجل هذه الواقعة .

والمستشرقون يختلفون إلى اليوم فى قبول هذا الشعر وكان ممن أدلى بدلوه فى هذه القضية ( بلاشير ) حيث أنه تحدث طويلاً مبينًا ومجسمًا الشبهات ، وبينما يحاول الاعتدال أحيانًا إذ به يهاجم هجومًا عنيفًا[2] ، ويتلخص هجومه وتشكيكه فيما يلى :

**أولاً** : نحن نجد فى النصوص المذكورة أن الشعراء أيًا كان عصرهم أو قبائلهم يستعملون لغة موحدة منزهة بصورة عامة عن كل أثر لهجى خاضعة لقواعد تركيبية هى بصورة مجملة قواعد نحاة البصرة ، ولا شك فى أن القصائد الجاهلية جردت بتأثير الرواة الكبار عن كثير من الظواهر اللهجية ، كما أن التثبت الكتابى بدوره أتم توحيد اللغة وحتى الأسلوب[3] .

وللرد على ( بلاشير ) نقول : إن اللهجة القرشية كانت لها السيادة يومذاك ، كما اتجه الشعراء إلى نظم أشعارهم بها كما أن قريشًا كان لها نفوذ كبير ، بسبب مركزها

---

(١) العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ص١٦٨ .
(٢) تاريخ الأدب العربى للرافعى ١/ ١٨٣ وما بعدها .
(٣) ذاته ، ص١٨٨ .

الروحى والمادى حيث كانت تقوم على حراسة الكعبة ، وكانت قوافلها تجوب أنحاء الجزيرة ، وكانت القبائل جميعها تجتمع عليها فى الأعياد الدينية ، والأسواق التجارية والأدبية فهى محط الرحال ، وكعبة قصاد ، ومهوى الأفئدة ، وهى فى كل ذلك تعمل على صقل لهجتها ، وتهذيب حوشيها باختيار ما عذب فى اللسان ، وخف على الأسماع من لهجات هذه القبائل جميعها ، وبذلك تهيأ للهجة قريش أن تسود اللهجات، وتصبح اللغة الفصحى التى نزل القرآن الكريم بها[1] يقول أبو نصر الفارابى كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعًا ، وأبينها إبانة عما فى النفس[2] .

ويروى ( أحمد بن فارس ) عن ( إسماعيل بن عبد الله ) قوله : « أجمع علماؤنا بكلام العرب ، والرواة لأشعارهم ، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشًا أفصح العرب ألسنة ، وأصفاهم واختار منهم نبى الرحمة محمد ﷺ فجعل قريشًا قطان حرمه ، وجيران بيته الحرام وولاته ، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج ، ويتحاكمون إلى قريش فى أمورهم ، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم ، وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التى طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب ، ألا ترى أنك لا تجد فى كلامهم عنعنة تميم ، ولا عجرفية قيس ، ولا كشكشة أسد ، ولا كسكسة ربيعة »[3] .

ويقول ( ابن خلدون ) كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدها عن بلاد العجم من جميع جهاتهم فصانها بعدها عن الأعاجم من الفساد والتأثر بأساليب العجم حتى إن سائر العرب على نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغتهم فى الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية[4] هذا بالإضافة إلى الأسباب السياسية ،

(١) من الظواهر الفنية فى الشعر الجاهلى د/ سعد ظلام ، ص١٣٢ وما بعدها بتصرف .
(٢) المزهر للسيوطى ١/ ١١ .
(٣) الصاحبى فى فقه اللغة لابن فارس ص٢٣ ط المؤيد .
(٤) مقدمة ابن خلدون ص٤٠٩ فصل ٣٢ من القسم السادس .
العجرفية : التقعر وطلب الغريب الوحشى من الكلام

حيث إن القبائل العربية كانت ترى تحت أعينها هجوم الدول المجاورة من الفرس والروم والحبش على أطرافها ، كما كانت ترى هجوم الديانتين ، المسيحية واليهودية على دينها الوثنى فتجمعت قلوبها حول مكة ، وهوت أفئدتها إليها . وبذلك تهيأ للهجة القرشية أن يعلو سلطانها فى الجاهلية على اللهجات القبلية المختلفة ، وأن تصبح هى اللغة الأدبية التى يصوغون فيها أدعيتهم الدينية وأفكارهم وأحاسيسهم ، والدليل على ذلك ( سوق عكاظ ) فقد كانت سوقًا أدبية ، كما كانت سوقًا تجارية وكان الخطباء يرتجلون فيها خطبهم، وينشد الشعراء قصائدهم ولم يرد ذلك عن سوق سواها ، ومما يدعم هذا الدليل ما قاله الرواة من أن العرب كانت تعرض أشعارها على قريش فما قبلوه منها كان مقبولاً ، وما ردوه منها كان مردودًا ، فقدم عليهم ( علقمة بن عبدة التميمى ) فأنشدهم قصيدته :

**« هل علمت وما استودعت مكتوم »**

فقالوا : هذا سمط الدهر ، ثم عاد إليهم العام المقبل فأنشدهم قصيدته :

**« صحا بك قلب فى الحسان طروب »**

فقالوا : ( هاتان سمطا الدهر )[1] .

إذًا لهجة قريش هى الفصحى التى عمت وسادت فى الجاهلية وكانت سيادتها فى كل القبائل العربية شمالاً وغربًا وشرقًا ، وفى اليمامة والبحرين ، وسقطت إلى الجنوب، واقتحمت الأبواب على لغة ( حمير ) واليمن وبخاصة فى أطرافها الشمالية حيث منازل الأزد وخثعم ، وهمدان وبنى الحارث بن كعب فى نجران .

وقد روى الرواة عن أبى حاتم السجستانى أنه قال : ( قرأ على أعرابى بالحرم : الذين آمنوا وعملوا الصالحات طيبى لهم وحسن مآب ) فقلت : طوبى فقال الأعرابى : طيبى فلما طال على قلت : طوطو قال : طى طى[2] فلم يستطع أن يثنى طبعه لأن لهجته القبلية فى مثل ( طوبى ) مما وزنه ( فعلى ) تنطقه ( طيبى ) على وزن ( فعلى ) بكسر الفاء

(١) الأغانى ١/ ١١٣ طبع السارس .

(٢) الخصائص لابن جنى تحقيق محمد على النجار ط دار الكتب المصرية ١٠/ ٧٥ ، ٧٦ .

فتقلب الواو ياء ، والضمة فى أول الكلمة كسرة ولم يفد فى الأعرابى لفت ( أبى حاتم ) له ولا تمرينه على نطق ( طوبى ) ولمثل ذلك تعددت قراءات القرآن الكريم تخفيفًا للمشقة عليهم فى تلاوته وفعلا قرأوه بلهجتهم المرخص بها ، وكان ذلك سبب اختلاف قراءاته التى دونها العلماء[١] .

**ثانيًا** : يقول المستشرق ( بلاشير ) كل شىء يدعونا إلى الاعتقاد بأن كبار الرواة ومعهم علماء العراق قد أجروا فى الشعر القديم اصطلاحات ذات صيغة جمالية[٢] ثم يقول ( والمدهش هو تعدد الروايات واتساعها داخل كل بيت ، ولا ريب فى أنها ناشئة عن ضعف الذاكرة فى أثناء الرواية الشفوية ، وأن عددًا قليلاً منها ناشئ عن عدم اكتمال طريقة الكتابة أو عن استبدالات فى المترادفات ، وما من شىء يحيز لنا التأكيد بأن هذه الفروق الجزئية ليست قديمة ، ولا تصعد إلى ظهور الأثر نفسه[٣] .

ثالثًا : ثم يستطرد المستشرق ( بلاشير ) قائلاً ( إن دراسة النصوص الشعرية الصحيحة تقودنا إلى وضع مبدأ يقضى بعدم امتلاكنا أى أثر شفوى فى شكله الأصيل ، ونحن نعلم لكى تتم المأساة أن المقلدات قد امتزجت بالأصول القديمة التى يختلف تحريفها قلة أو كثرة دون أن نتمكن فى كثير من الأحيان من كشف هذه الانتحالات )[٤] .

وتلك مزاعم مفتراة ، ومبالغ فى افترائها ، فلو صح ما ادعاه ( بلاشير ) لكان اصطلاحهم على أساس مقاييس جمالية عرفوها للشعر الجاهلى تنهض على الجزالة والرصانة ، وهذا يقوده إلى الاعتراف بوجود نماذج جاهلية صحيحة يقيسون عليها اصلاحهم ، كما يدفع ذلك الزعم أيضًا أن كثيرًا من القصائد الجاهلية أثبتها الرواة على حالها دون إصلاح أو تعديل مع أنها مضطربة الأوزان ، مختلفة العروض ، مثل قصيدة عبيد بن الأبرص :

**أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب**

---

(١) العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ، ص١٣٥ ط دار المعارف .
(٢) تاريخ الأدب العربى ، مرجع سابق ١/ ١٨٩ .
(٣) ذاته .
(٤) ذاته ، ص٣٥٤ .

فبعضها من مخلع ( البسيط ) والآخر مضطرب لا يجرى على وزن معروف ومثل قصيدة للشاعر امرئ القيس :

**عيناك دمعها سجال  كأن شأنيهما أو شال**

فالشطر الأول من المخلع ، والثانى مضطرب ويقول الدكتور ( شوقى ضيف ) وهو أى ( بلاشير ) يزعم أن الرواة ونحاة البصرة عدلوا فى هذه الأصول بما يتماشى مع القواعد النحوية البصرية من جهة والقواعد الجمالية الأسلوبية من جهة ثانية ، متخذاً دليله على ذلك ، خلو القصائد الجاهلية من ظواهر اللهجات القبلية وقدمنا أن هذه الظواهر كانت فعلاً تكاد تكون منعدمة فى الجاهلية نفسها لأن الشعراء فى القبائل المختلفة اصطلحوا على أن ينظموا شعرهم بلهجة قريش واتخذوها لغة لشعرهم ، ومن أجل ذلك لم يسقط من لهجتهم في أشعارهم إلا أشياء قليلة جداً ، سجلها هؤلاء النحاة البصريون ، وإلا ففيم هذه الشواذ النحوية التى تمتلئ بها كتبهم ، بل كان يرويه معهم رواة الكوفة ونحاتها ، وكانوا مولعين بإثبات الشواذ واعتبارها أصولاً يقاس عليها ، أما أن هؤلاء الرواة جميعًا أدخلوا فى الشعر الجاهلى إصلاحات ذات صبغة جمالية تقوم على متانة اللفظ وجزالته ، فهى دعوى تستلزم ضربًا من الدور ، إذ كانوا يرجعون فى هذه الإصلاحات إلى المقاييس الجمالية المبثوثة فى هذا الشعر الجاهلى . والتى تقوم على الرصانة والجزالة ثم يصلحونه على أساسها ، والحق أن ثقاتهم نقلوا إلينا هذا الشعر بكل صفاته الجمالية ، وما دخله من عيوب تركيبية أو شواذ نحوية ، أو لغوية ، وأما التغير فقد كان باستبدال كلمة بأخرى ترادفها ، وقد يخالف فى ترتيب أبيات القصيدة فيقدم فيها ويؤخر ، بيد أن ذلك لا يخل بصحة ما حمله ورواه العلماء الثقات الذين نصوا على المنتحل والمصنوع ، على نحو ما يصور لنا ذلك ( ابن سلام الجمحى ) فى كتابه ( طبقات فحول الشعراء )[1] .

ومما يؤكد ذلك أن الوفود اليمنية التى وفدت على رسول الله ﷺ لم يحدثنا رواة الأخبار والسيرة النبوية أنها كانت تجد صعوبة فى التفاهم معه ، وقد أرسل إليهم

(١) العصر الجاهلى ، ص١٦٩ ، ١٧٠ .

الصحابى الجليل ( معاذ بن جبل ) رضى الله عنه ، فلو أنهم كانوا لا يعرفون العربية الفصحى لكان إرسال الدعاة إليهم ضربًا من العبث ، فهناك حركة تعريب واسعة حدثت فى الجنوب قبل الإسلام ، أما فى الشمال فقد كانت الفصحى معروفة فى كل مكان ، وكان الشعراء يتخذونها لغة لشعرهم ، والدليل على ذلك سرعة استجابتهم للقرآن الكريم ودعوته فإنهم كانوا يفهمونه بمجرد سماعه ، فإذا عرفنا أنه نزل بلغة قريش تحتم أن تكون هى اللغة الأدبية التى كانت سائدة .

أما ما يردده اللغويون من أن القرآن الكريم نزل على سبع لغات منها خمس بلغة (العجزن من هوازن) وهم الذين يقال لهم ( عليا هوازن ) مثل (سعد بن بكر بن معاوية) و ( ثقيف ) فذلك تفسير منهم للحديث النبوى وهو ( أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه ) ، فقد نسروا الحروف باللغة أو اللهجة ، ونظروا فوجدوا اللهجات العربية ولغاتها كثيرة فاختاروا منها سبعًا وهى أفصحها وهى التى كان يرحل إليها اللغويون لجمع مادتهم اللغوية الصحيحة ، والحديث لا يراد به تخصيص ، وإنما يراد به الترخيص لقبائل العرب أن تقرأ بلهجاتها المختلفة متى جاءت بها الرواية الصحيحة من مد ، وإمالة ، وتحريك للحروف ، وتسكين وتشديد ، تسهيلاً عليهم وتيسيرًا حتى لا يجدوا مشقة وثقلاً فى نطق بعض ألفاظه[1] ونحن إلى هذا الرأى نميل .

وأما قوله : ( إن القصائد المقلدة اختلطت بالقصائد الأصلية فى الشعر الجاهلى بحيث لا يمكن التمييز بين المقلد والأصل ) ، فللرد عليه نقول : إنه زعم مبالغ فيه حيث إن الرواة الأثبات الثقات ميزوا لنا الأصول الصحيحة وأجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على توثيقها بحيث لا يرقى إليها الشك على الرغم من ذلك كله فإن الاستشراق وأهله دأب على الكيد للإسلام ولغة القرآن الكريم وبخاصة ( اليهود ) منهم ، فقد كانت وستظل الحرب مستمرة مشبوبة الأوار بيننا وبينهم ، أو بمعنى أدق ، بينهم وبين الإسلام وأهله ولغته ، عن طريق الغزو الفكرى فى عصرنا الحاضر وكذلك يعمل المستشرق اليهودى ( صموئيل مرجليوث ) ، الذى نشر فى سنة ١٩٢٥م رأيه عن الشعر الجاهلى والتشكيك فى مصادره ونسبتها للجاهلية وخرج برأى يشكك فى إعجاز

(١) العصر الجاهلى ، ص١٤٣ ، ١٤٥ .

القرآن الكريم ، ثم قلد مرجليوث كتاب عرب على رأسهم الدكتور ( طه حسين ) الذى آخذ آراء المستشرق اليهودى وضمنها كتابه ( فى الشعر الجاهلى )[1] .

وقد تأثر الدكتور ( طه حسين ) بآراء المستشرقين وبخاصة ( صموئيل مرجليوث ) وطفق يردد رأيه مشككًا فى الشعر الجاهلى وصحته ، حينما انبرى لهذه القضية فى كتابه ( الشعر الجاهلى ) والذى أثار ضجة عنيفة فى الأوساط الدينية والأدبية حيث تصدى للرد عليه كثرة كاثرة من العلماء والأدباء ، فلم يلبث أن حذف منه ما حذف ثم أعاد نشره تحت عنوان ( فى الأدب الجاهلى ) وقد انتهى الدكتور ( طه حسين ) من بحثه إلى هذا الرأى ، يقول : ( إن الكثرة المطلقة مما نسميه أدبًا جاهليًا ليست من الجاهلية فى شىء ، وإنما هى منتحلة بعد ظهور الإسلام ، فهى إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين ، وأكاد أشك فى أن ما بقى من الأدب الجاهلى الصحيح قليل جدًا لا يمثل شيئًا ، ولا يدل على شىء ولا ينبغى الاعتماد عليه فى استخراج الصورة الأدبية الصحيحة لهذا العصر الجاهلى[2] وواضح من مقولته أنه يعترف بأن هناك شعراً جاهليًا صحيحًا ، وإن كانت فى رأيه قليلة ولا تعطى الصورة الأدبية الوثيقة لهذا الشعر ، ثم مضى يسرد الأسباب التى تدعو إلى الشك فى الشعر الجاهلى ، وها هو ذا مجمل آرائه والرد عليها .

**أولاً** : إن الشعر الجاهلى لا يصور حياة الجاهليين الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية ، كما أنه لا يصور لغتهم وما كان فيها من اختلاف اللهجات ، وتباينها بلهجاتها من اللغة الحميرية ، أما من حيث حياتهم فنقول إنه عرضها على القرآن الكريم فوجده يمثلها من جميع جوانبها المذكوره تمثيلاً قويًا ، فهو يجادل اليهود والنصارى ، والصابئة والمجوس ، ويهاجمهم كما يهاجم الوثنية والوثنيين ، ويطالعنا فى تضاعيف ذلك على جملة معتقداتهم بينما نجد الشعر الجاهلى بريئًا من هذا كله وليس فيه صدى للشعور الدينى القوى والعاطفة المتسلطة على النفس .

(١) الإسلام والمستشرقون د/ محمد الدسوقى ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص٥١ سنة ١٩٦٢ وجذور البلاء - اللواء عبد الله التل القسم الأول ص١٩٩ . نشر المكتب الإسلامى الطبعة الثانية دمشق ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

(٢) فى الأدب الجاهلى د/ طه حسين ط أولى ، ص٦٤ .

والحق أن قياس الشعر الجاهلى فى هذه الجوانب على القرآن الكريم مردود ، حيث إن القرآن كتاب دينى يريد أن يجمع العرب على الإسلام ، فأمر طبيعى أن يعرض لديانتهم ثم يناقشها مبينًا ما فيها من زيف وضلال ، بخلاف الشعر فإن شاعرًا لم يدع لدين جديد ، بيد أن ( كتاب الأصنام لابن الكلبى ) حافل بالشعر الوثنى ، يصور حياتهم الوثنية تصويرًا بارعًا دقيقًا ويرى ( جورجى زيدان ) أن المنظومات الدينية قد ضاعت لاشتغال العرب عنها بالحماسة والفخر بسبب الحروب ، فلما جاء الإسلام أغضى الرواة عنها لأنها وثنية[1] .

ونحن نرى ما ارتآه ( جورجى زيدان ) حيث إنه لا يعقل أن يغفل الشعراء هذا الجانب المهم من حياتهم ، وبخاصة أنه يتعلق بالعقيدة والشعر يومذاك هو المرآة الصادقة التى تعكس جميع حيواتهم ، بل ويصور ويصف كل ما تقع عليه نواظرهم فى بيئتهم الجاهلية ، فلما بزغت شمس الإسلام أغفل الرواة هذه الأشعار ، وتلك المنظومات ، وشغلوا عنها بالإسلام وتعاليمه التى تخاطب العقل ، وتتواءم وتتسق مع الفطر السليمة فانمحت معالمها ، وانطمست ودرست آثارها ، ولم يصل إلينا شىء منها . ويذكر المستشرق إدوار براونلش ( أن قلة الشعر الدينى راجعة إلى أن علماء المسلمون يرفضون من الشعر ما خالف الإسلام )[2] وهذا رأى لا بأس به ، ونراه متفقًا فى مقولته هذه مع ما ذهبنا إليه من قضاء الإسلام على الوثنية وانصراف الرواة عن رواية هذا اللون من الشعر لأنه مخالف لعقيدة المسلمين كما أن فيه مخالفة لما جاء به الإسلام .

**ثانيًا** : ثم ينتقل الدكتور ( طه حسين ) إلى الحياة العقلية للجاهليين فيلاحظ أنها غير واضحة فى الشعر المنسوب إليهم ، وكأنه يطلب إليهم حياة عقلية راقية أو معقدة ، فأية حياة عقلية لهؤلاء البدو يمكن أن يصورها هذا الشعر ؟ لقد كانوا بدوًا لم يتحولوا بعد إلى طور فكرى منظم ، ومعنى ذلك أن حياتهم العقلية الفطرية ماثلة تمامًا فى شعرهم .

**ثالثًا** : الحياة السياسية : يرى الدكتور ( طه حسين ) أن حياتهم السياسية لا تتضح فى أشعارهم ، مع أنهم كانوا على اتصال بمن حولهم من الأمم الأخرى مثل الفرس والروم ،

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ١/ ٦١ ط دار الهلال سنة ١٩٥٧ .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان .

كما يوضح لنا ذلك القرآن الكريم فى سورة الروم إذ يعرض علينا العرب شيعيتين ، إحداهما تنتصر للروم ، والأخرى تنتصر للفرس ، وفى الحقيقة أن هذا لا يصدق على العرب جميعًا ، إنما يصدق على قريش وقوافلها التجارية التى كانت تنزل فى بلاد الدولتين ، ومع ذلك فقد كان شعراء ( نجد ) و ( الحجاز ) يتصلون بالغساسنة من أتباع الروم ، والمناذرة من أتباع الفرس ويهجونهم ويمدحونهم ، ولما نشبت الحرب بين قبيلة ( بكر ) ، و ( الفرس ) قبل الإسلام هددهم شعراء هذه القبيلة وتوعدهم طويلاً على نحو ما هو معروف عن الأعشى ، حيث يقول :

وجند كسرى غداة الحنو صبحهم ... منا كتائب تزجى الموت فانصرفوا
جحاجح وبنو ملك غطارفة ... من الأعاجم فى آذانها النطف
إذا مالوا إلى النشاب أيديهم ... ملنا ببيض فظل الهام يختطف
وخيل بكر فما تنفك تطحنهم ... حتى تولوا وكاد اليوم ينتصف
لو أن كل معد كان شاركنا ... فى يوم ذى قار ما أخطاهم الشرف[1]

وذلك من قصيدة مطلعها :

كانت وصاة وحاجات لنا كفف ... لو أن صحبك إذا ناديتهم وقفوا

وها هو ذا الشاعر ( عمرو بن كلثوم ) يقول :

* وكأس قد شربت ببعلبك *[2]

وامرؤ القيس يصف رحلته إلى القسطنطينية ، يقول :

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما ... نحاول ملكًا أو نموت فنعذرا[3]

---

(١) الديوان ص٣١ شرح وتعليق د/ محمد حسين ، نشر مكتبة الآداب بالجماميز دون تاريخ .
الحنو : منعرج الوادى . ويوم الحنو هو يوم ذى قار ، صبحهم : غزاهم صباحًا ، زجى الشىء : كنصر وأزجاه ساقه ودفعه ، الجحجح والجحجاح السيد المسارع إلى المكارم وكذلك الغطريف .
النشاب : السهام ، معد : هو معد بن عدنان جد عرب الشمال من قبائل ربيعة ومضر جميعًا .
(٢) الديوان .
(٣) الديوان ص٦٥ ، ٦٦ ت محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة .

ويقول الأعشى :

**قد طفت ما بين بانقيا إلى عدن وطال فى العجم ترحالى وتسيارى**[1]

وهو من قصيدة يمدح بها ( شريح بن حصن بن عمران بن السمؤال بن عاديا ) ومطلعها :

**شريح لا تتركنى بعد ما علقت حبالك اليوم بعد القد أظفارى**[*]

ويقول أيضًا :

**أتيت النجاشى فى داره وأرض النبيط وأرض العجم**[2]

وشعر النابغة أيضًا يمثل اتصاله بملوك الحيرة ، كما أن شعر ( عدى بن زيد ) يمثل هذه الصلة بين العرب والفرس ، فاتصال ( عدى ) بديوان ( كسرى ) معروف[3] .

**رابعًا** : أما الناحية الاقتصادية فإنه يرى أن القرآن يتحدث عن الأغنياء المستأثرون بالثروة ، والفقراء المعدمون ، كما يتحدث عن البخلاء ، ويذم البخل وليس فى شعرهم صدى للنظام الطبقى ولا تصويراً للبخل ، وإنما فيه أن العرب كلهم أجواد كرام .

**خامسًا** : إن الشعر الجاهلى لا يصور اللغتين الشائعتين فى الجزيرة لغة الحميريين الجنوبية ، ولغة العدنانيين الشمالية ، بل هو يضيف إلى الجنوبيين أشعاراً بلغة الشماليين ، وحقًا أن ما يضاف إلى من كانوا فى أقصى الجنوب وداخل اليمن منتحل ، أما من كانوا منهم يجاورون الشماليين فقد تعربوا فى الجاهلية مثل ( مذحج ) وبلحارث ابن كعب حتى إنه شك فى شعر ( امرئ القيس ) لأنه يمنى وشعره قرشى اللغة[4] واتخذ

---

(١) الديوان ، ص١٧٩ المقطوعة ٥٥ .

(*) القد : السير من الجلد غير المدبوغ كان يربط به الأسير وأطفارى : فاعل علقت .

(٢) الديوان ص٤١ مقطوعة رقم ٤ البيت رقم ٥٧ شرح وتعليق د/ محمد حسين . نشر مكتبة الآداب بالجماميز - المطبعة النموذجية .

(٣) من الظواهر الفنية فى الشعر الجاهلى د/ سعد ظلام ، س١٣٧ والعصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ص١٧١ ، ١٧٢ .

(٤) ذاته والعصر الجاهلى ص١٧٢ ، فى الأدب الجاهلى د/ طه حسين .

الدكتور « طه حسين » من كل ذلك مطعنًا فى صحة الشعر الجاهلى . والسبئيون من القحطانيين نزحوا من الجنوب إلى الشمال قبل الإسلام بعد سيل العرم ومنهم اللخميون ملوك الحيرة والغساسنة ملوك الشام وغيرهم . أما حمير فهى التى كانت بأرضها فى (ظفار) و (صنعاء) وما جاورها ، وهى التى قال فيها ( أبو عمرو بن العلاء ) ( ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا )[1] .

أما اللهجات الشمالية المختلفة التى لاحظ ( طه حسين ) أن الشعر الجاهلى لا يمثلها حيث كان ينبغى أن تظهر فيه وجوه اختلافها ، فقد أومأنا آنفًا إلى أن اللهجة القرشية قد سادت كل هذه اللهجات لمركزها الدينى والسياسى والاقتصادى يومذاك ، وأن الشعراء اتجهوا للنظم وتخيروها فى لغتهم الأدبية .

وذلك قياس لا يستقيم حيث إن شعر الصعاليك طافح بما يصور النضال المضنى بين الأغنياء والفقراء ، كما أنه يثور على ذلك النظام الاقتصادى الجائر[2] ، بقيادة زعيمهم الشاعر ( عروة بن الورد ) والذى يقول :

**أقسم جسمى فى جسوم كثيرة وأحسو حساء الماء والماء بارد**

فالشعر الجاهلى مثل الحياة الجاهلية أصدق ما يكون التمثيل ، ورسم ألوان معايشهم ، وصور عاداتهم وتقاليدها ، وتحدث عن ديانتهم وأديانهم ، ووصف بيئتهم أدق وصف بكل ما فيها من سماء ونجوم وكواكب ورعد وبرق ، ومطر ، ونبات ، وإبل وخيل وبقر وحشى وحيوانات وحشرات ، وأطلال ورياح ، وسفن وبحار ، ورياض ، وأطيار ، إلى غير ذلك من الأوصاف التى يعج بها شعرهم حيث إنهم وصفوا كل ما وقعت عليه نواظرهم من طبيعة ساكنة أو متحركة ، كما سجل الشعر أيامهم ووقائعهم ، وتاريخهم وأخبارهم . يقول المستشرق ( نيكلسون ) : ( إن الأدب الجاهلى المنظوم منه والمنثور يمكننا من تصوير حياة تلك الأيام الجاهلية تصويرًا أقرب ما يكون إلى الدقة )[3]

---

(١) طبقات ابن سلام ، ص٨ .

(٢) الشعراء الصعاليك د/ يوسف خليف ، ص١٣٣ ط دار المعارف ، القاهرة .

(٣) من الظواهر الفنية ، ص١٣٨ .

ويقول (شوربكة) الألمانى فى كتابه عن الشاعر (عنترة العبسى) يمكن تعريف الشعر الجاهلى بأنه وصف مزين بالشواهد لحياة الجاهلية وأفكارها[1] ويقول (نولدكه) الهولندى: (إن عادات العرب وأحوالهم معلومة لنا بالدقة نقلاً عن أشعارهم)[2].

سادسًا: ثم إنا نرى (طه حسين) يرد أسباب النحل والوضع فى الشعر الجاهلى إلى السياسة والدين والقصص والشعوبية والرواة أما السياسة فأراد بها العصبية القبلية حيث رآها قد لعبت دورًا واضحًا فى شعر قريش والأنصار إذ أضافت قريش إلى نفسها أشعارًا كثيرة ولم يغب ذلك عن (ابن سلام) حيث نبه إليه قائلاً: (كما أن شكهم فى قصيدة أبى طالب دليل على أنهم نظروا فى شعر قريش فقبلوا منه ورفضوا)[3] ثم انتقل إلى العامل الدينى مبينًا دوره فى النحل متشككًا فى الأشعار التى يقال إنها نظمت فى الجاهلية إرهاصًا لبعثة الرسول عليه السلام، وذلك مما رواه (محمد بن إسحاق) صاحب السيرة، وقد نبه على ذلك أيضًا (ابن سلام) بل ورفضه حيث قال: (وكان ممن هجن الشعر وأفسده وحمل منه كل غثاء، محمد بن إسحاق مولى آل مخرمة ابن المطلب بن عبد مناف) وكان من علماء الناس بالسير فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول (لا علم لى بالشعر إنما أوتى به فأحمله، ولم يكن ذلك له عذرًا، فكتب فى السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرًا قط، وأشعار النساء فضلاً عن أشعار الرجال ثم جاوز ذلك إلى عاد، وثمود، أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر، ومن أداه منذ ألوف من السنين، والله يقول: ﴿ **وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى** ﴾ وقال فى عاد: ﴿ **فهل ترى لهم من باقية** ﴾ وقال: ﴿ **وعادا وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله** ﴾[4]، ثم يشك أيضًا فيما نسب إلى شعراء اليهود والنصارى من أشعار، وما أضيف إلى (عدى بن زيد العبادى) ولم يكن القدماء فى غفلة عن ذلك.

---

(١) من الظواهر الفنية، ص١٣٨.

(٢) ذاته.

(٣) طبقات ابن سلام الجمحى، ص٢٠٤.

(٤) ذاته، ص٦، ٧ المطبعة المحمودية التجارية الكبرى محمود على صبح الأزهر.

ثم يتحدث عن القصص والقصاص وأثرهم فى وضع الشعر ونبه عليه (ابن سلام) فى طبقاته[1] ثم يعرض للشعوبية وما يمكن أن تكون قد نحلت الجاهلية من أشعار لتثبت على لسانهم مثالبهم التى تدعيها ، كما تثبت ثناءهم على الأعاجم ، وشك أيضًا فى هذا الشعر الذى يضيفه ( الجاحظ ) إلى الجاهليين فى مصنفه ( الحيوان ) ليدل على اتساع معرفتهم فى هذا العلم أى ( علم الحيوان ) والحق أن هذا لم يكن من أهداف الجاحظ فهو نفسه ينفى عن الجاهليين العلم الدقيق بالحيوان ، حيث يقول : ( إن معارفهم فيه معارف أولية ، وأنه إنما ورد فى أشعارهم لأنه كان مثبوتًا تحت أعينهم وأبصارهم فى ديارهم )[2] .

ثم يتحدث عن الرواة الوضاعين من أمثال ( حماد ) و ( خلف ) وقد رأينا كيف كان العلماء القدامى لهم بالمرصاد ، والحق أن الشعر الجاهلى فيه موضوع كثير ، بيد أن ذلك لم يكن غائبًا عن العلماء القدامى حيث إنهم تنبهوا إلى ذلك ونبهوا عليه ، وعرضوه على منضدة النقد متناولين الرواة من جهة وصيغه وألفاظه من جهة أخرى ، وأحاطوه بسياج من التحرى والدقة والتثبت ، فكان من الواجب أن يتريث المستشرقون وأتباعهم من أمثال ( صموئيل مرجليوث ) والدكتور ( طه حسين ) فى البت فى هذه القضية والشك والتشكيك فى هذا التراث الخالد إلى الحد الذى أفضى بهم إلى رفضه وعدم قبوله البتة ، ولكننا نشك ونرفض فيما شك فيه القدماء ورفضوه ، ونقبل ما قبلوه ووثقوه وبخاصة ما ورد عن طريق العلماء الثقات والرواة الأثبات من أمثال ( أبى عمرو ابن العلاء ) و ( المفضل الضبى ) و ( الأصمعى ) و ( أبى زيد القرشى ) فذلك الشعر وتلك المرويات قمينة بالقبول ، وحرية بالثقة ، وحقيق أن نقبله ولا نرفضه ما دام هناك إجماع على صحته والوثوق به .

ونحن لا نمانع من أن يوضع ما يتطرق إليه الريب على منضدة البحث والتحليل والمناقشة ، فنقبل ما هو مقطوع بصحته كما أومأنا إلى ذلك انفًا ، ونرفض ما نرتاب فيه على أسس علمية ، ودراسات وبحوث متأنية وبعيدة عن الحدس والظن والتخمين

(١) طبقات ابن سلام الجمحى ، ١١٧ .

(٢) الحيوان للجاحظ ٦/ ٢٩ وما بعدها .

والأهواء ، محكمين فى ذلك عقولنا والمناهج العلمية الصحيحة ، فى طرق البحث نائين عن المشاعر الدافقة ، والعواطف الجياشة ، والأغراض الحاقدة ، والنزعات المنساقة انسياقًا أعمى وراء المغرضين الذين يريدون النيل من تراثنا ولغتنا وإسلامنا .

فإن ذلك منهاج لا يؤدى غالبًا إلا إلى نتائج علمية سليمة وصحيحة .

كأن يروى مثلاً شعر لشاعر لا يتصل ذلك الشعر بظروفه التاريخية ، أو تجرى فيه أسماء مواضع بمنأى عن موطن قبيلته ، أو يضاف إليه شعر إسلامى النزعة ، ونحو ذلك مما يجعلنا نشك فى هذا الشعر ، أو على الأقل لا نثق فى سمته ونسبته .

**أهم مراجع القضية :**


١ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى .

٢ - تاريخ آداب العرب للرافعى ص٣٥٢ وما بعدها طبع دار الكتاب العربى ، لبنان ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

٣ - مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية د/ ناصر الدين الأسد ، ص٣٢١ إلى ص٤٢٨ ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٦م .

٤ - فى الأدب الجاهلى د/ طه حسين .

٥ - العصر الجاهلى . د/ شوقى ضيف ص١٦٤ - ١٧٦ الطبعة العاشرة ، دار المعارف ، القاهرة .

٦ - من الظواهر الفنية فى الشعر الجاهلى د/ سعد ظلام ص١٢٧ إلى ص٢١٥ ط مؤسسة يوم المستشفيات بالقاهرة .

٧ - فى تاريخ الأدب الجاهلى د/ على الجندى ط دار المعارف بالقاهرة .